المكتبة القبطية على الانترنت

زيارة الموقع

من التراث الخالد لمعلم الأجيال

الكتاب الثامن: مترفق شفوق

الناشر: المكتبة القبطية المسيحية الأرثوذكسية على الانترنت

http://copticlibrary.blogspot.com

تاريخ النشر: ابريل ٢٠١٢م

مثلث الرحمات

قداسة البابا شنوده الثالث

بابا الاسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية ال ١١٧

هذه السلسلة

تقدم المكتبة القبطية المسيحية الأرثوذكسية على الانترنت لقرائها الأعزاء في هذه السلسلة بعضاً من التراث الخالد لمعلم الأجيال وذهبي فم القرن العشرين والحادي والعشرين مثلث الرحمات قداسة البابا شنوده الثالث. الذي أثرى حياتنا، وحياة الملايين من محبيه عبر الأجيال بأقواله وتعاليمه وحياته، فكان مصباح منير، بل شمس ساطعة أضاءت بقوة عالمنا الذي يحتاج دوما إلى قدوة صالحة تسير على هدى السيد المسيح وتتبع خطواته في الحب والبذل والاتضاع.

وكتابنا الثامن في هذه السلسلة عبارة عن مقال بعنوان «يخيل إليَّ أنني أعرفه – أنه مترفق شفوق» نشره الأستاذ نظير جيد في مجلة مدارس الأحد عدد شهر يونيو سنة ١٩٤٩م.

نصلي إلى الرب أن ينيح روحه الطاهرة في ملكوت السموات وأن يمتعنا ببركه صلاته عنا.

المكتبة القبطية المسيحية الأرثوذكسية على الانترنت -إبريل ٢٠١٢م

يخيل إلىَّ أنني أعرفه
مترفق شفوق

قد يدعي أحد الدجالين أنه المسيح، أما المسيح فهو معروف، له صفاته المميزة الخالدة. ونريد اليوم أن نتكلم عن قلبه الكبير الذي اتسع رفقه للجميع. كان المسيح مترفقاً شفوقاً يعرف ظروف الناس ويقدِّر حاجاتهم مادية وروحية:

فمن الناحية المادية: رغم أن المسيح لم يهتم بمأكله مطلقاً إذا كان يقول: «طعامي أن أفعل مشيئة أبي»، إلا أنه كان يشفق على الناس من ألم الجوع. وهكذا لم يرسل الخمسة الآلاف إلى القرى المجاورة ليبتاعوا طعاماً كما اقترح تلاميذه، وإنما أتكأهم وأعطاهم ليأكلوا. وكذلك الأربعة الآلاف قال لتلاميذه عنهم: «لا أصرفهم صائمين لئلا يخوروا في الطريق».

وكان لا يشرك تلاميذه معه في صومه بل سمح لهم إذ جاعوا في أحد السبوت أن يقطفوا السنابل من الحقول غير

حافل بانتقاد اليهود. وكان يشفق أيضاً على أعدائه الجائعين فقال ضمن وصاياه لنا: «إن جاع عدوك فاطعمه وان عطش فاسقه». وأظهر اهتمامه الكبير بإطعام الجائعين حتى أنه في مثاله عن اليعازر المسكين ذكر أن الغني قد حمل إلى النار لأنه لم يشفق على اليعازر الذي يشتهي الفتات الساقط من مائدته. كما ذكر أنه سيقول للهالكين في يوم الدين: «كنت جوعاناً فلم تطعموني، كنت عطشاناً فلم تسقوني...»

نرى من كل هذا أن المسيح لا يتجاهل حالة الجسد فهو وإن قال لتلاميذه: «لا تهتموا قائلين ماذا نأكل أو ماذا نشرب أو ماذا نلبس»، إلا أنه قال تكملة للوصية «لأن أباكم السماوي يعلم أنكم تحتاجون إلى هذه كلها».

فهل تعلم يا أخي المسيحي أن إخوتنا الفقراء يحتاجون إلى هذه كلها. وأن المسيحية ليست صلاة وصوماً ووعظاً فحسب، وإنما هي قبل كل شيء شفقة ومحبة. قال القديس

يعقوب تلميذ الرب: «الديانة الطاهرة النقية عند الله الآب هي هذه: افتقاد اليتامى والأرامل في ضيقتهم، وحفظ الإنسان نفسه بلا دنس في العالم».

وإن كان السيد المسيح قد اهتم بأجساد خليقته في جوعها. **فقد اهتم بها أيضا في مرضها**:

وهكذا كان المسيح «يطوف المدن كلها والقرى يعلم في مجامعها ويكرز ببشارة الملكوت، ويشفي كل مرض وكل ضعف في الشعب». وعندما أرسل تلاميذه لم يقل لهم فقط «اكرزوا قائلين إنه قد اقترب ملكوت السموات»، وإنما أتبعها مباشرة بقوله «أشفوا مرضى. طهروا برصاً. أقيموا موتى. أخرجوا شياطين».

ولم يكن المسيح يشفي المرضى إظهاراً للمعجزات وإنما شفقة وتحنناً عليهم «أتى إليه أبرص يطلب إليه جاثياً وقائلاً إن أردت تقدر أن تطهرني فتحنن يسوع ومد يده ولمسه وقال

أريد فاطهر». وعندما أتاه الرجل ذو اليد اليابسة وتسائل اليهود هل يشفيه في السبت، نظر المسيح إليهم بغضبه «حزيناً على غلاظة قلوبهم وقال للرجل مدي يدك». وهكذا تحنن على نازفة الدم التي أنفقت أموالها على الأطباء ولم تنتفع شيئاً. وعلى الرجل المطروح لمدة ثمان وثلاثين سنة وليس من يلقيه في البركة. وعلى الأعرج والكسيح والأشل والأعمى والمجنون والمقيد بالشياطين و... وكان يضع يده عليهم جميعاً فيشفيهم. وكذلك بكى المسيح على اليعازر حتى قال الناس: «أنظروا كيف كان يحبه» ثم أقامه من الموت. وتحنن على أرملة نايين وأقام ابنها الميت ودفعه إليها.

وأنت يا أخي المسيحي ماذا تفعل بالمرضى والموتى؟ قد لا تكون لك موهبة الشفاء أو إقامة الموتى، ولكنك على أي الحالات تستطيع أن تعوض ذلك بالزيارة والصلاة، تذكر قول المسيح للخالصين في يوم الدين «كنت مريضاً فزرتموني».

أما من **الناحية الروحية** فسنتتبع شفقة المسيح وتحننه في النقاط الآتية:

١ - **كان المسيح يجلس مع الخطاة**، ويعمل على النهوض بمستواهم، والتقليل من غلواء المتغطرسين الذين يحتقرونهم. ولعل من أبرز الطوائف المحتقرة عند اليهود العشارين والسامريين والأمم.

أما العشارون فكانوا مشهورين بالنهب والسرقة والقسوة والظلم، وكان اليهود ينبذونهم ويحرمون معاشرتهم، ولكن المسيح كان يحب هؤلاء العشارين ويشفق عليهم، ويرى أنهم أيضاً من أبنائه.. وهكذا اختار منهم تلميذاً هو متى العشار، وحضر وليمة في بيت متى وجلس يأكل ويشرب مع العشارين، قائلاً لليهود القساة الذين ينتقدونه: «لم آت لأدع أبراراً بل خطاة إلى التوبة. أريد رحمة لا ذبيحة».

ونراه أيضاً على سمع من الجمع المحتشد يقول لزكا رئيس

العشارين: «ينبغي أن أمكث اليوم في بيتك»، وإذ تذمر الجميع قائلين: «إنه دخل ليبيت عند رجل خاطئ»، قال يسوع: «اليوم حصل خلاص لهذا البيت إذ هو أيضا ابن لابراهيم لأن ابن الإنسان قد جاء ليطلب ويخلص ما قد هلك». ولم يكتف المسيح بهذا بل إنه قص على الجمع في مناسبة أخرى قصة الفريسي والعشار وفيها يظهر اتضاع وانسحاق وتوبة العشار إلى جوار غطرسة الفريسي رجل الدين.

كذلك كان اليهود لا يعاملون السامريين، حتى أنهم عندما أرادوا أن يشتموا المسيح قالوا له: «إنك سامري وبك شيطان». أما المسيح فأحب هؤلاء السامريين جداً، وعمل على تخليصهم. زار مدينة لهم فطردوه ولم يقبلوه، ولكنه لم يغضب وإنما ظل مشفقاً عليهم. ولما عرض عليه اثنان من تلاميذه أن يحرق هؤلاء السامريين بنار من السماء، انتهرهما وقال لهما: «لستما تعلمان من أي روح أنتما». وهكذا نرى

المسيح يسير مسافة طويلة وهو متعب وجوعان لكي ينقذ امرأة سامرية خاطئة، فيجلس معها ويتحدث إليها، حتى تتوب. ونراه أيضاً يقص على الناس قصة السامري الصالح الذي فاق في شفقته ونبله أحبار اليهود.

أما عن الأمميين الوثنيين فقد احتقرهم اليهود لأنهم ليسوا من أبناء ابراهيم، ولكن المسيح كان يحبهم ويشفق عليهم. وهكذا امتدح قائد المئة بقوله أنه لم يجد ولا في اسرائيل إيماناً كإيمانه. كما امتدح إيمان المرأة الكنعانية وأعلن أنه حيثما يكرز بالإنجيل يكرز بقصة هذه المرأة أيضاً. واستمر المسيح يعمل على تحطيم الروح المتغطرسة التي ينظر بها اليهود إلى الأمم فقال لهم إن كثيرين سيأتون من المشارق والمغارب ويتكئون في أحضان ابراهيم واسحق ويعقوب بينما يطرح بنو النور في الظلمة الخارجية.

أرجوك إذاً يا صديقي القارئ أن تشفق على العشار

والسامري والأممي لأنك أيضاً تحت الآلام مثلهم. إن رأيت خاطئاً يدخل دور الملاهي فلا تشمئز، بل ابك عليه في مخدعك، وإن سمعت كاذباً أو حالفاً أو شاتماً أو مجدفاً فلا تشنع به، بل صل من أجله لكي يخلص فهكذا كان يفعل المسيح.

٢- **كان المسيح أيضاً يعامل الخطاة برفق**: لننظر مثلاً إلى مناقشته المرأة السامرية: كان يعلم أنها لا تستطيع أن تبدأه بالكلام لأن اليهود لا يعاملون السامريين فبدأها هو. ليس هذا فقط وإنما أشعرها بأنها وهي في أعماق الخطية تستطيع أن تعمل عملاً حسناً فقال لها: «اعطيني لأشرب»، ثم تدرج معها في الحديث حتى قادها إلى التوبة، وإذ كان يعلم أنه قد يصعب عليها أن تعترف له بخطيئتها البشعة، استدرجها إلى الاعتراف بقوله: «اذهبي وادع زوجك»، فلما اعترفت وقالت: «ليس لي زوج» مدح صدقها وشجعها بقوله: «حسناً قلت

ليس لي زوج.. هذا قلت بالصدق». بل إنه في أثناء حديثه أيضاً أشعرها بأنها - وهي الخاطئة جداً - في إمكانها لا أن تتوب فقط وإنما أن تشرب من الماء الحي الذي يعطيه لها.. أي ترفق في معاملة الخطاة مثل هذا.. ولكنها طريقة المسيح الذي «لا يقصف قصبة مرضوضة ولا يطفئ فتيلة مدخنة».

٣ - **وكان المسيح أيضاً يحذر الخاطئ كثيراً قبل السقوط ويعطيه المواهب التي تساعده على المقاومة.** ولنأخذ بطرس كمثال في هذا الأمر. كان المسيح يعلم أن هناك تجربة في انتظار هذا التلميذ، ولذلك نراه يقوي إيمانه بأمور كثيرة، فسمح له بالسير على الماء، ودعاه على جبل التجلي، وخصه بكثير من المزايا، وغير اسمه (سمعان) إلى (بطرس) ومعناه (صخرة).

ولم يكتف بهذا بل قدم إليه عدة إنذارات: قال «هوذا تأتي ساعة وهي الآن تتفرقون فيها كل واحد إلى خاصته وتتركونني

وحدي»، وقال أنهم سيضربون الراعي فتتشتت الرعية. ومع أنه كان يقصد جميع التلاميذ إلا أنه قال: «سمعان سمعان هوذا الشيطان طلبكم لكي يغربلكم كالحنطة ولكني طلبت من أجلك لكي لا يفنى إيمانك». وفي بستان جثسيماني أخذ بطرس ويعقوب ويوحنا وصلى، «ثم جاء ووجدهم نياماً. فقال لبطرس يا سمعان أنت نائم. أما قدرت أن تسهر معي ساعة واحدة»، نلاحظ أن المسيح يخاطبه في هاتين المرتين باسم سمعان وليس بطرس. بل أكثر من هذا كلم المسيح بطرس صراحة وقال له: «قبل أن يصيح الديك تنكرني ثلاث مرات». فعل كل هذا لكي يحترس بطرس ولا يقع في الخطيئة.. وهكذا فعل أيضاً مع يهوذا فقدم له إنذارات عديدة، وكان يخصه بمكانة ظاهرة إذ كان أميناً على الصندوق.

٤ - **وكان الشخص إذا أخطأ يسامحه المسيح ويعدّ له طريق التوبة**: فهذه المرأة الزانية التي ضبطت في ذات الفعل،

والتي قسا عليها الجميع، لم تجد إلا قلباً واحداً رحيماً هو قلب يسوع الذي نجاها وقال لها في محبة: «اذهبي بسلام وأنا أيضاً لا أدينك».

وهذان المديونان اللذان على الواحد منهما خمسمائة دينار وعلى الثاني خمسون يقول الكتاب: «وإذ لم يكن لهما ما يوفيان سامحهما جميعاً».

وهكذا أرادنا المسيح أن يكون لنا مثله القلب الشفوق الذي يتحنن على المخطئين ويغفر لهم ويصلي من أجلهم. ولذلك عندما سأله بطرس: «كم مرة أسامح أخي هل إلى سبع مرات؟» أجاب المسيح: «لا أقول لك إلى سبع مرات بل إلى سبعين مرة سبع مرات».

فهل أنت يا أخي صورة من حبيبك يسوع تشرق بشمسك على الأشرار والأبرار، وتنصت إليه وهو يقول: «طوبى للرحماء فإنهم يرحمون»... هل هناك يا أخي شخص مديون لك مادياً

أو أدبياً وقد مضت عليه مدة، أرجوك باسم المحبة أن تشفق عليه وتطيل أناتك، ولا تخبر بأمره أحداً، لأنك أنت أيضاً مديون للمسيح وقد سامحك وحلك من خطاياك ثم قال: «إن لم تغفروا.. لا يغفر لكم».

تذكر أن المسيح وهو على خشبة الصليب لم يفكر في آلامه المريعة، وإنما فكر في شاتميه وجالديه وصالبيه وصرخ قائلاً: «يا أبتاه اغفر لهم لأنهم لا يدرون ماذا يفعلون».

٥ - **وكان المسيح يشفق على الضالين ويسعى إلى ردهم إليه**: تذكر قصة الخروف الضال الذي ترك راعيه الحنون، ومع ذلك ترك الراعي التسعة والتسعين وذهب ساعيا وراء هذا الضال، متجشماً صعاباً كثيرة حتى وجده. وتذكر أيضاً سعي المسيح لرد الإيمان إلى بطرس وتوما.

٦ - **وكان الخاطئ إذا رجع يقبله المسيح ويفرح به ولا يوبخه على ماضيه**: تذكر أن الخروف الضال عندما وجده

راعيه ضمه وحمله على منكبيه، ورجع ودعا اصدقاؤه ليفرحوا معه. ونتذكر أيضاً أن الابن الضال عندما رجع وهو في حالته المزرية جداً استقبله أبوه بفرح وضمه إلى صدره، ولم يوبخه بكلمة واحدة على طياشته السابقة، بل ألبسه لباساً جديداً ووضع خاتماً في يده، وذبح له العجل المسمن. وهكذا أيضاً عندما أنكر بطرس سيده قابله المسيح بمحبة ولم يوبخه على هذا النكران بل قال له في عتاب مترفق: «يا سمعان بن يونا أتحبني أكثر من هؤلاء»، ثم قال له أيضاً: «ارع خرافي» لكي يثبت له أنه مازال تلميذاً... لأجل ذلك قال المسيح ان السماء تفرح بخاطئ واحد يتوب أكثر من تسعة وتسعين باراً لا يحتاجون إلى توبة.

٧ - وكان المسيح يقدر الظروف والمواهب المختلفة ولا يحمل الناس فوق ما يطيقون. وكثيراً ما وبخ الفريسيين لأنهم «يحزمون احمالاً ثقيلة عسرة الحمل ويضمونها على أكتاف

الناس. كان يعرف أن البتولية أمر جميل ولكنه عندما قال لتلاميذه: «إنه حسن للمرء ألا يتزوج»، أجابهم: «ليس الجميع يقبلون هذا الكلام». وعندما أتاه الشاب الغني لم يقل له أولا: «اذهب وبع كل مالك وأعطه للفقراء» وإنما طلب منه فقط أن يحفظ الوصايا فلما قال إنه حفظها منذ حداثته انتقل به إلى درجة أسمى تتفق وحالته.

وكان المسيح يعرف أن ظروف وأنواع وتربة الزروع تختلف، فقد يأتي زرع بمائة وآخر بستين وآخر بثلاثين، ولذلك قال عن كل من هذه الأنواع إنه «زرع جيد». وكما أنه مدح العبد الذي ربح عشر وزنات مدح أيضا الذي ربح خمساً فقط لأن كل منهما قام بواجبه في حدود طاقته ومواهبه. وهكذا أيضاً عندما وزع الأجور على العاملين في الكرم أعطى الذين اشتغلوا من الساعة الحادية عشرة فقط كالباقين لأنه قدر ظروفهم إذ وقفوا طول النهار عاطلين

دون أن يستخدمهم أحد. من أجل هذا كله نرى أن المسيح في بدء علاقته بالتلاميذ لم يصرح لهم بلاهوته إذ لم يكن باستطاعتهم وقتئذ أن يحتملوا، وإنما تدرج بهم شيئاً فشيئاً حتى فهموا هذه الحقيقة أخيراً.

٨ - وكان المسيح ينظر إلى العمل الصغير في محبة، ويرعاه في رفق حتى ينمو. وهكذا شجع إيمان تلاميذه الضعيف المتشكك، وظل يتعهده حتى نما وترعرع وملأ العالم. كما كان يقدر العمل الطيب مهما بدا ضئيلاً فقد قال مرة: «ومن سقى أحد هؤلاء الصغار كأس ماء بارد فقط باسم تلميذ فالحق أقول لكم إنه لا يضيع أجره».

لعل طفلاً في منزلك يا أخي المحبوب طلب أن يشرب وقدمت له كوباً ثم نسيت هذا الكوب، ولكن المسيح لن ينساه ولن ينس أمثاله من الأعمال: لن ينس كلمة التشجيع البسيطة التي تقولها لأحد المبتدئين، ولا الزيارة القصيرة التي

تمر بها على مريض، ولا العبارة المعزية التي تقولها لحزين، ولا المقعد الذي تتركه في الترام لعجوز أو مريض، ولا الابتسامة أو التحية التي تفرح بها قلب فقير، لا ينسى شيئاً من هذا مطلقاً لأنه لم ينس كوب الماء. ولم ينس زيارة ملكة التيمن لسماع حكمة سليمان، وقال انها من أجل هذا ستقوم في يوم الدين لتدين هذا الجيل. لذلك إذا رأيت عملاً بسيطاً يعمله غيرك فلا تحتقره أو تقلل من شأنه وإنما شجعه لأن المسيح معلمك لم يكن يقصف قصبة مرضوضة، ولا يطفئ فتيلة مدخنة. بل قال عنه كل من يعرفه:

إنه مترفق شفوق

وبعد يا صديقي القارئ! هل تظن انني حدثتك عن ترفق وشفقة المسيح؟ كلا! فهذا الموضوع لا تسعه مقالة كهذه، وكل ما فعلته هو أنني فتحت الباب في هذه النقطة لكي يتأمل فيها الجميع.

صدر من هذه السلسلة:

١ - هل الطهارة صعبة.

٢ - داخل الأبواب المرشوشة بالدم.

٣ - الثمن.

٤ - الرجوع.

٥ - من أقامني قاضياً.

٦ - يخيل إليَّ أنني أعرفه: طويل الأناة.

٧ - مشاكلك الروحية، كيف أحب الله؟

٨ - يخيل إليَّ أنني أعرفه: مترفق شفوق.

المكتبة القبطية المسيحية الأرثوذكسية على الأنترنت
http://copticlibrary.blogspot.com